JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الثاني والأربعون
(٣٢٥)- (٣٤٥)

البعد الاجتماعي في مشروع الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) الإصلاحي

دراسة في آليات بناء الوعي العام

م.م سجاد علي محمد حميدي
sajadahsannajem@gmail.com
مديرية تربية واسط / متوسطة الشهيد سالم جودة شوكان للبنين

المستخلص:
يتناول هذا البحث البعد الاجتماعي في المشروع الإصلاحي للإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، من خلال دراسة أساليب بناء الوعي العام في عصره، والكشف عن المرتكزات الفكرية والتربوية التي اعتمدها في توجيه المجتمع. ويهدف البحث إلى تحليل الآليات التي أسهمت في تشكيل وعيٍ اجتماعي قائم على العلم، والمسؤولية، والانضباط القيمي، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء النصوص الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وتحليل مضامينها الاجتماعية والفكرية. وتوصل البحث إلى أن الإمام قدّم أنموذجًا إصلاحيًا متكاملًا، جمع بين التأسيس الفكري والتوجيه التربوي، وأسهم في بناء وعيٍ اجتماعي متوازن، قادر على مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية.

الكلمات المفتاحية: الإمام جعفر الصادق، الوعي الاجتماعي، الإصلاح، الفكر الإسلامي، التربية الاجتماعية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

The Social Dimension In the Reform Project of Imam Ja‘far al-Sadiq A Study of the Mechanisms of Building Public Awareness

M.M. Sajjad Ali Mohammed Hamidi Al-Shamati
Ministry of Education / Salem Jawda Shokan Intermediate School for Boys
.Assist, Teatcher. Sajad Ali Muhammad Humaidi
Wasit Education Directorate / Principal of Al-Shaheed Salem Joudeh Shokan Middle School for Boys

sajadahsannajem@gmail.com

Abstract
This study explores the social dimension of the reformative project of Imam Ja‘far al-Sadiq (peace be upon him), focusing on his methods of shaping public awareness. It analyzes the intellectual and educational foundations he employed to guide society and promote a conscious and responsible social structure.
The research adopts a descriptive-analytical approach, examining selected narrations attributed to the Imam and interpreting their social implications. The study concludes that Imam al-Sadiq presented an integrated reform model that combined intellectual development with ethical guidance, contributing to the formation of a balanced and aware society.
Keywords: Imam Ja‘far al-Sadiq, social awareness, reform, Islamic thought, social education.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

المقدمة :

يُعدّ الإمام جعفر الصادق أحد أبرز الشخصيات العلمية والإصلاحية في التاريخ الإسلامي، إذ لم يقتصر دوره على الجانب العلمي فحسب، بل امتد ليشمل بناء المجتمع وتوجيهه، من خلال مشروع إصلاحي متكامل استهدف الإنسان في فكره وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية. وقد تميز هذا المشروع بتركيزه على بناء الوعي العام، بوصفه الأساس في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، ومواجهة مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي.

وقد شهد عصر الإمام الصادق عليه السلام تنوعًا فكريًا واجتماعيًا واسعًا، تمثل في تعدد الاتجاهات والمذاهب، وظهور تيارات فكرية مختلفة، مثل المعتزلة، والمرجئة، والزنادقة، الأمر الذي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

أوجد تحديات حقيقية أمام بنية المجتمع الإسلامي. وفي هذا السياق، برز دور الإمام الصادق في ترسيخ وعيٍ اجتماعي قائم على العلم، والانفتاح المنضبط، والالتزام القيمي.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى الكشف عن البعد الاجتماعي في مشروع الإمام الصادق الإصلاحي، وتحليل الأساليب التي اعتمدها في بناء الوعي العام، بما يسهم في فهم طبيعة هذا المشروع، وإبراز صلاحيته للاستفادة منه في معالجة الإشكالات الاجتماعية المعاصرة.

المبحث الأول

الإمام جعفر الصادق عليه السلام وموقفه من أحداث عصره

المطلب الأول: التعريف بالإمام جعفر الصادق عليه السلام:

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في المدينة في ١٧ من ربيع الأول عام ٨٠ هـ/٦٩٩م، وأمه أم فروة، يقول عنها الإمام: "لقد كانت أمي من النساء المتقيات المؤمنات المحسنات". (الكليني، ٢٠٠٧، ج ١ ص ٤٧٢).

كنيته ابو عبد الله، ولقبه الله الصادق، وهو عليه السلام من أوصياء النبي ﷺ ومن ائمة الهدى بعد رسول الله، وكان له من الأولاد سبعة إسماعيل، والإمام الكاظم، وعبد الله، ومحمد ديباج، واسحاق، وعلي العريضي والعباس، ومن البنات ثلاثة : ام فروة وأسماء وفاطمة، عاش الا خمساً وستين سنة. منها اثنى عشر سنة مع جده الإمام زين العابدين الا وعنه أخذ ذكرياته عن حادثة كربلاء وحركة جده الحسين الله بشكل مباشر. وأيضا شهد إملاء الصحيفة السجادية على أبيه الباقر ، قال الصادق: "وهذا خط أبي وإملاء جدي بمشهد مني". (البدري، ٢٠١٨، ص ١).

ومنها واحد وثلاثين سنة مع أبيه الباقر الله وكانت منها عشرون سنه مدة إمامة أبيه الله ، وقد شهد مع أبيه الله تربية طلاب العلم وتأسيس الجامعة الإسلامية عهدها الثالث، وكانت مدة إمامته الله أربعا وثلاثين سنة، عاصر من خلفاء بني أمية هشام بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ومروان الحمار. ومن العباسيين أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور، توفي الإمام الصادق الله في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م ودفن في المدينة المنورة بالبقيع بجنب قبر جده وأبيه. (البدري، ٢٠١٨، ص ١-٢)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المطلب الثاني: موقف الإمام الصادق عليه السلام من أحداث عصره:

شهد عصر الإمام جعفر الصادق(٨٠-١٤٨هـ/٦٩٩-٧٦٥م) العديد من الثورات والأحداث التاريخية خاصةً أنه عاصر عصرين إسلاميين وكان له فيهم مواقف تاريخية بصفته ممثلاً كإمام عن الفرع الحسيني الذي اتخذ في ثورته منحاً علمياً في حين أن الفرع الحسني اتخذ في ثورته منحاً سياسياً وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى بعض الأمثلة العملية للفرع الحسيني قد اتخذ ايضاً منحاً عملياً في ثورته وخير مثال على ذلك ثورات بزيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى وابنه عيسى، وهذا الجهد بدأ بالأمويين سنة ١٢٢ هـ. وكانت هذه الثورة لها نتائج كبيرة على إسقاط الحكم الأموي فيما بعد، فقد قاد ابنه ثورة في خراسان، إلا إن الثورة فشلت كما فشلت ثورة أبيه في الكوفة، وحدث ذلك في سنة ١٢٥ هـ (الطبري، ١٤١٠هـ، ج٧، ص ٢٢٨)، ومع هذا الفشل إلا إن الثورتين قد أيقظتا الناس بما يفعله الحكم الأموي وكانت هناك محبة لزيد ويحيى عند بأهل خراسان لذلك كان بعض الدعاة العباسيين يعتقدون أن ثورتهم لصالح آل البيت فكانوا يذكرون صلب زيد بالكناسة ومقتل يحيى، واتخذ أهل خراسان السواد شعارا لهم لحزنهم عليهما، وعلى هذا يمكن القول إن أساس الثورة العباسية هي القوى الزيدية في خراسان، بل حرمت قادة الثورة العباسية بذلك في أكثر من موضع، إن العباسيين سرقوا جهود العلويين وهذا ما حذر منه بوعيه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ناجي، ١٣٨٦هـ، ص ١٥١-١٥٦).

ولهذا المدى وقوته كانت حسنية الجذور، وقد باركها الأئمة (عليهم السلام) وبخاصة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فقد دافع عن الثورة وعن زعيمها بكل قوة وأشار إلى أن يحيى بن زيد سيلقى مصير والده من الشهادة والصلب، فلم يقف الإمام الصادق بوجه الثوار أبدا وكان لثورة تسير بجناحين جناح العلم وجناح السيف وهكذا كان الجهد الحسيني الثوري لتغيير الواقع الاجتماعي ورأى أن البقاء للجهد العلمي الثوري في تركيز ثقافة التغيير الاجتماعي قبل الثورة وبهذا الوعي التاريخي لمجريات الأحداث رفض الكثير من الدعوات من قواد الحركات العباسية لاستلام مهام القيادة والخلافة، وما أن شعرت القيادات العباسية بذلك تم قتل الكثير من الدعاة، فقتل أبو مسلم الخراساني سليمان بن كثير الخزاعي لأنه أظهر ميلا للعلويين بل وعد بنصرهم إن هم طلبوها، وقيل: إنه أنكر قتل أبي سلمة الخلال (عطوان، ١٤١٥هـ، ص ٣٥٨).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

كان أبو سلمة الخلال يحاول صرف الأمر عن العباسيين وعن أبي العباس السفاح ونقله إلى العلويين منذ موت إبراهيم الإمام (٤٤)، وكتب فعلا – بعد مجيء أبي العباس السفاح الكوفة كتابين بنسخة واحدة وأمر حامله أن يأتي أولا الإمام الصادق (عليه السلام) ثم يأتي عبد الله بن الحسن المحض، فلما وصل إلى الإمام فكان رده أن أحرق الكتاب بعدما قال: "وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري" (المسعودي، ١٤٢٥هـ، ج٢٣، ص ٢٩٠)

وهذا النص التاريخي يشير إشارة واضحة الى وعي الإمام الصادق (عليه السلام) التاريخي بمجريات الأحداث وأن انقلاب أبي سلمة الخلال لم يكن لله وإنما للتخلص من العباسيين وتثبيت مركزه النفعي وأن هذه الدعوة هي دلالة واضحة على أهداف أبي سلمة الخلال لذلك استغرب الإمام الصادق (عليه السلام)

ومن الغريب بتصرف عبد الله بن الحسن المحض انه لما دفع إليه الكتاب "قبله وقرأه وابتهج به وفي يوم غد ركب راحلته إلى منزل الإمام الصادق (عليه السلام) فاستقبله الإمام ودار الحوار حول كتاب أبي سلمة الخلال وقول عبد الله بن الحسن المحض بنسبة أهل خراسان لشيعة له أو شيعة لهما بقوله: (شيعتنا من أهل خراسان ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ وكان جواب عبد الله بن الحسن أنهم يريدون ابني المهدي، فأجابه الإمام والله ما هو مهدي هذه الأمة، ولئن شهر سيفه ليقتلن" (المسعودي، ١٤٢٥هـ، ج٢٣، ص ٢٩٠).

إن الإمام الصادق (عليه السلام) لم يقصد من هذا تثبيط عزيمة عبد الله بن الحسن ولا حسد ابنه لكن يريد وضعه أمام الصورة الحقيقية للواقع السياسي وأسباب تغيير الدولة وأنها قد أصبحت بيد العباسيين وما هذا الذي فعله أبو سلمة الخلال إلا محاولة أخيرة للبقاء بمركز أقوى عبرتغيير قيادات الدعوة والسيطرة أكثر من ذي قبل بعدما جاء أهل الدعوة وقادتها من العباسيين، وهذه حقيقة أراد الإمام الصادق (عليه السلام) بيانها لعبد الله بن الحسن ولكل الحسنيين ممن يدركون الوعي التاريخي ويتابعون الأحداث وما آلت إليه الأمور.

وممن كتب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً أبو مسلم الخراساني قائلا: "إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فيه فأنا أبايعك" (القندوزي، ١٤١٦هـ، ج٣، ص ١٦١)، فكان جواب الإمام: "ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني" (القندوزي، ١٤١٦هـ، ج٣، ص

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

١٦١)، إن عبارة ولا الزمان زماني فيها دلالة واضحة على الاختلاف الفكري المبني على أن المهدي ليس زمانه الآن هذا بالنسبة لظهور الإمام المهدي أما دعوة أبي مسلم له فرده بقوله: (ما أنت من رجالي)، فالدعوة قد باتت بيد العباسيين بالقول والفعل ولا نصيب فيها للحسينيين والحسنيين.

المبحث الثاني

الإطار المفاهيمي للوعي الاجتماعي في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم الوعي والإصلاح الاجتماعي

يعدّ مفهوم الوعي من الركائز الأساسية في تشكيل السلوك البشري وتوجيه حركة المجتمعات نحو التغيير؛ إذ لا يمكن تصور "إصلاح" حقيقي دون وجود "وعي" يسبقه ويوجهه، وسنتناول في هذا المطلب تفصيل القول في مفهوم الوعي لغة واصطلاحاً، ثم نعرج على الوعي الاجتماعي بوصفه حلقة الوصل بين الفرد ومجتمعه، وختاماً تعريف الإصلاح الاجتماعي.

أولاً: تعريف الوعي الاجتماعي

يُشتق الوعي في اللغة العربية من مادة «وَعَيَ»، ويُقال: وَعَى الشيءَ يَعِيه وَعْياً، أي حفظه وفهمه وأدركه إدراكاً تاماً. والوعي في اللغة يدلّ على الجمع والإحاطة، وهو نقيض الغفلة والسهو (ابن منظور، ٢٠٠٠، ص ٧٤٨). ويشير المعجم الوسيط إلى أن الوعي هو "الحفظ والتقدير والفهم وسلامة الإدراك"، مما يعني أن الوعي يتجاوز مجرد المعرفة السطحية إلى الإحاطة بالشيء من جميع جوانبه لفظاً وقصداً وغايةً (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ص ١٠٤٤).

أما اصطلاحاً، فقد تعددت تعريفات الوعي تبعاً للمذاهب الفلسفية والحقول المعرفية؛ ففي الفلسفة الظاهراتية، يُعرَّف الوعي بوصفه "فعلاً قصدياً"، أي أنه دائمًا وعي بشيء ما، ولا يمكن تصوره في فراغ مستقل عن موضوعه؛ إذ إنّ الوعي هو بنية قصدية تتجه نحو الموضوع وتمنحه معناه داخل التجربة المعاشة (هوسرل، ٢٠٠٥، ص ٩٢). وفي علم النفس، يمثل الوعي مجموع العمليات العقلية التي يشترك فيها الإنسان لفهم ذاته والعالم المحيط به، وارتباط ذلك بنشاطه السلوكي وتطوّر لغته (الحنفي، ٢٠٠٠، ص ٩٤٦).

هكذا، يُعد الوعي الاجتماعي تجلياً للوعي الفردي في إطار الجماعة؛ فهو يشير إلى مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، والتي تعكس الواقع الموضوعي للناس، وبما أن الواقع الاجتماعي يتسم بالتعقيد والتنوع، فإن الوعي الاجتماعي يتصف بدوره بالتعدد والتنوع.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ويعرّف قاموس علم الاجتماع الوعي بأنه "اتجاه عقلي انعكاسي" يُمكّن الفرد من الوعي بذاته وبالبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح، ويتضمن إدراكه لذاته بوصفه عضواً في جماعة (محمد وآخرون، ١٩٨٨، ص ٨٨). ويؤكد علماء الاجتماع أن الوعي الاجتماعي لا يمكن فصله عن الوعي الذاتي؛ فالإنسان لا يستطيع التفكير في ذاته إلا من خلال إحالتها إلى جماعة اجتماعية، وبذلك يتكون الوعي الاجتماعي كنتاج للعلاقات المتبادلة بين الأفراد داخل المجتمع (أحمد، ٢٠٠٦، ص ١٨٩).

ثالثاً: تعريف الإصلاح الاجتماعي

يرتبط مفهوم الإصلاح لغةً بمادة (صَلُحَ)، والصلاح هو ضد الفساد؛ فيُقال أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه (ابن منظور، ج٢، ص ٥١٦). والصلاح والفساد مفردتان متلازمتان لا ينفكان عن بعضهما، حيث يصعب فهم تعريف إحداهما دون الأخرى؛ فالإصلاح هو الحالة التي تتنافى مع مبدأ الفساد والإفساد[١] (الزبيدي، ٢٠٠٥، ص ١١).

أما اصطلاحاً، فقد تعددت وجهات النظر في تعريف الإصلاح الاجتماعي، ويمكن إبراز أهم اتجاهين فيهما:

الاتجاه الشامل: يرى أن الإصلاح هو الرجوع إلى الأصول الصحيحة (الإسلام)، وصياغة منهج متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، فيصلح العقيدة والفكر والسلوك، فهو إصلاح دعوي وتربوي وتنظيمي شامل (محمود، ١٩٩٤، ص ١٥).

الاتجاه التصحيحي: يعرّفه بأنه "تصويب ما اعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات" (بلقزيز، ١٩٩٧، ص ١٥).

ومن خلال التدقيق في هذين التعريفين، يتضح أن الإصلاح الاجتماعي يرتكز على فكرة العودة إلى الفطرة السليمة وبناء مفاهيم وصيغ راسخة تطور الفكر الإسلامي وفق منظور الإصلاح العام للمجتمع والاسلام، ونبذ الأمراض الاجتماعية والانحرافات، وبذلك، يظهر التكامل بين الوعي والإصلاح؛ فالوعي هو القوة الإدراكية التي تشخص الخلل، والإصلاح هو الفعل التطبيقي الذي يهدف إلى تصحيح ذلك الخلل وإعادة التوازن للمجتمع.

---

[١] الإفساد كل ما زاد عن الفساد في مجتمع أو بلد ما وهو ما ينبغي تركه لما فيه من مضرة. ينظر: ابن الفراء، محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨ه)، العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي، د.ن، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٧١٤.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المطلب الثاني: أسس بناء الوعي في الفكر الإسلامي:

يقوم بناء الوعي في الفكر الإسلامي على مرتكزات تجعل من التعقل فريضة دينية وضرورة وجودية، فالوعي ليس مجرد ترف فكري، بل هو بصيرة تربط بين النص والواقع تحت إشراف العقل والمنهج الهادي لأهل البيت (عليهم السلام). ويمكن إجمال هذه الأسس في ثلاثة محاور:

أولاً: العلم والمعرفة

يتميز الفكر الإمامي بمنح العقل مكانة مركزية في استنباط الوعي؛ فالعقل هو "ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان" (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٠). ويقوم الوعي المعرفي على مبدأ نفي التقليد في أصول الدين، حيث يجب على كل مكلف بناء وعيه العقدي على دليل وبرهان لا على التبعية للأباء .

وفي هذا السياق، أسهم الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) إسهاماً محورياً في ترسيخ هذا الاتجاه، من خلال تأسيس مدرسة علمية واسعة لم تقتصر على النقل، بل فتحت المجال أمام الجدل العلمي والنقاش العقلي، مما جعل من المعرفة أداة لفحص الموروث وتمييز الصحيح من السقيم. وقد تجلى هذا المنهج لاحقاً في تطور علم الرجال ودراية الحديث، حيث لم يُقبل النص لمجرد وروده، بل عُرض على القرآن الكريم وقواعد العقل، وهو ما حرر العقل الشيعي من الجمود والتقليد، وجعله عقلاً نقدياً متجدداً (الصدر، ١٤١٧هـ، ص٢٤).

ولم تكن العلوم الدينية وحدها ما وقف عندها الامام الصادق عليه السلام حيث أنه وقف من علوم العالم المادي موقفاً ايجابياً فكان له دور بارز في العديد من العلوم وقد انعكس ذلك على تلامذته وخير مثال على ذلك عالم الكيمياء الشهير جابر بن حيان (كاظم، ٢٠٢٢م، ص١٧-١٨).

ثانياً: القيم الأخلاقية (التزكية ووعي البصيرة)

يرتبط الوعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ارتباطاً وثيقاً بـ "البصيرة"[٢]، وهي مرتبة من الإدراك الأخلاقي تجعل الإنسان قادراً على تمييز الحقائق خلف الظواهر، وتقوم التزكية هنا على وعي الذات وتنقيتها من الحجب التي تعيق الرؤية الصحيحة.

وقد ركّز الإمام الصادق (عليه السلام) في توجيهاته الأخلاقية على بناء الإنسان من الداخل قبل الخارج، مؤكداً أن صلاح العمل مرتبط بصلاح القلب والمعرفة الداخلية. كما امتدت تعاليمه في

[٢] البصيرة قوة الإدراك والنظر للأشياء داخلياً وخارجياً وهي أن ترسى الأشياء على حقيقتها. ينظر: العنزي، عزيز بن فرحان، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٧.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مجال تهذيب النفس إلى تربية الضمير الإنساني على المراقبة والمحاسبة، وهو ما ينسجم مع ما ورد في أدعية أهل البيت (عليهم السلام)، وقال عليه السلام: "ان الله عز وجل أنعم على قوم فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالا، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة" (النراقي، ١٩٨٦م، ج٣ ص٢٩٢)

وفي هذا الإطار، تصبح قيم العدل والإحسان مكونات أساسية للوعي القيمي، إذ يرى الفكر الشيعي أن الوعي الحقيقي هو الذي يمنع الإنسان من الركون إلى الظلم أو تبريره، ويحوّله إلى كائن مسؤول أخلاقياً وسلوكياً (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٧٥، ص٣٥٠).

ثالثاً: المسؤولية الاجتماعية (الولاية والاستخلاف الاجتماعي)

ينطلق الوعي الاجتماعي في الفكر الشيعي من مفهوم "الولاية" و"الاستخلاف"، حيث إن الوعي بالانتماء إلى المجتمع الإيماني يفرض مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفها أداة للإصلاح الاجتماعي.

ويبرز في هذا السياق دور الإمام الصادق (عليه السلام) في ترسيخ البعد الاجتماعي للوعي، من خلال تأكيده على مسؤولية العالم والمتعلم في إصلاح المجتمع، وعدم الاكتفاء بالمعرفة النظرية. فقد شكّلت مواقفه وتوجيهاته امتداداً عملياً لفكرة أن العلم مسؤولية اجتماعية، وأن الانفصال عن قضايا الناس يُفقد المعرفة قيمتها الحقيقية، قال(عليه السلام): "اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه وآله) وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برًّا أو فاجراً، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحَسن خُلقه مع الناس، قيل: هذا جعفريّ" (الكافي، ج ٢، ٤٦٤).

وقال (عليه السلام): "عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض" (الكافي، ج ٢ ، ٤٦٤).

وعليه، فإن الوعي الاجتماعي في الرؤية الشيعية ليس وعياً سلبياً، بل هو وعي حركي يرتبط بواقع الأمة ويعمل على تغييره وفق موازين العدل والإحسان، بحيث يصبح فساد المجتمع نتيجة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مباشرة لغياب الوعي والمسؤولية: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (الطباطبائي، ١٣٩٠هـ، ج٣، ص٣٥٠).

المبحث الثالث

البعد الاجتماعي في مشروع الإمام جعفر الصادق الإصلاحي

انطلق الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في مشروعه الإصلاحي من رؤية قيادية مزدوجة المسارات؛ الأول يهدف إلى بناء الأمة الإسلامية وتقوية أواصرها وحفظ تراثها، والثاني يركز على صياغة الفئة الواعية (الطليعة) التي تحمل عبء التغيير وتكون نموذجاً حركياً للمنهج الأصيل.

المطلب الأول: المرتكزات الفكرية في بناء الوعي عند الإمام الصادق (عليه السلام)

يمثّل بناء الوعي في فكر الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الإمام جعفر الصادق مشروعاً حضارياً متكاملاً، تجاوز حدود التعليم الديني التقليدي إلى تأسيس بنية معرفية شاملة تهدف إلى إعادة تشكيل العقل المسلم في مرحلة اتسمت بالاضطراب السياسي والتعدد الفكري والانفتاح الثقافي الواسع، إذ أنّ هذه المرحلة مثّلت نقطة تحول في تاريخ الفكر الإسلامي بسبب تداخل المدارس الكلامية والفقهية وظهور حركة الوضع في الحديث (حيدر، ١٤٢٥هـ، ج٤، ص٣٢٢).

وانطلاقاً من ذلك، يمكن تحديد المرتكزات الفكرية لبناء الوعي عند الإمام الصادق (عليه السلام) في ثلاثة محاور كبرى مترابطة:

أولاً: تأسيس البنية العلمية وبناء الوعي الموسوعي للأمة

مثّل المشروع العلمي للإمام الصادق (عليه السلام) أحد أبرز مظاهر التحول الفكري في القرن الثاني الهجري، إذ أسّس لحركة علمية واسعة لم تقتصر على الفقه وأصوله، بل شملت علم الكلام، والتفسير، والفلسفة، وامتدت إلى مجالات الطبيعة والعلوم التجريبية، وهو ما جعل مدرسته تمثل مركزاً معرفياً متكاملاً في ذلك العصر (ابن حجر، ١٤١٤هـ، ص١٢٠).

وقد أفرز هذا المشروع تكوين طبقة واسعة من التلامذة الذين تنوعت اختصاصاتهم، فبرز فيهم فقهاء كزرارة بن أعين[٣] ومحمد بن مسلم[٤]، ومتكلّمون كهشام بن الحكم[٥] إضافة إلى شخصيات علمية

[٣] أَبُو ٱلْحَسَنِ عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ أَعْيَنَ بْنِ سُنْسُنَ ٱلشَّيْبَانِيُّ وَلَاءً ٱلْكُوفِيُّ، وَيُلَقَّبُ زُرَارَةُ (٨٠ هـ - ٦٩٩ مـ / ١٤٨ هـ - ٧٦٥ مـ). هو من كبار فقهاء ومحدّثي الشيعة الإمامية الاثني عشرية في القرن الثاني الهجري، كان من أبرز أصحاب الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق، وقد نقل عنهم عددًا كبيرًا من الروايات التي أصبحت مرجعًا مهمًا في الفقه والعقيدة. وُلد سنة ٨٠ هـ، ويُرجّح أن يكون مولده في مدينة الكوفة، نظرًا لارتباطه الوثيق بها واشتهاره بلقب الكوفي. ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن. الفهرست، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ص ١٠٤

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

أسهمت في نقل المعرفة وتدوينها، مما أدى إلى تشكّل شبكة علمية أثرت لاحقاً في تطور الفكر الإسلامي (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٤٧، ص٣٩٥).

ولا يُفهم هذا النشاط العلمي بوصفه مجرد تعليم تقليدي، بل باعتباره مشروعاً لبناء "وعي معرفي موسوعي"، يهدف إلى تحرير العقل المسلم من الانغلاق، وإكسابه القدرة على التعامل مع القضايا الفكرية المعقدة، خاصة في ظل التحديات الفكرية القادمة من الفلسفات الأجنبية والتيارات الكلامية المختلفة (التسخيري، ١٤٢٦هـ، ص٤٧).

ثانياً: ضبط المنهج العقلي وإعادة تشكيل أدوات الاستنباط

واجه الإمام الصادق (عليه السلام) إشكالية منهجية خطيرة تمثلت في تضخم دور " الرأي الشخصي "في الاستنباط، خصوصاً عبر القياس والاستحسان، وهو ما أدى إلى إدخال عناصر غير منضبطة في فهم النص الديني وإصدار الأحكام الشرعية (الحكيم، ١٩٧٩م، ص٣٠٣).

وفي مقابل هذا الاتجاه، لم يدعُ الإمام إلى إقصاء العقل، بل عمل على إعادة تعريف وظيفته داخل المنظومة المعرفية الإسلامية، بحيث يصبح العقل أداة لفهم النص وتحليل دلالاته واكتشاف مقاصده، لا مصدراً مستقلاً للتشريع، ومن هنا تبلور في فكر الإمام مفهوم "الاجتهاد المنضبط"، الذي يقوم على ثلاث قواعد أساسية:

١. الالتزام بالنص الشرعي بوصفه المرجع الأعلى.
٢. استخدام العقل في فهم العلل والدلالات لا في معارضة النص.
٣. مراعاة المقاصد العامة للشريعة في حال تعارض الظواهر الجزئية.

وقد أسهم هذا التوجه في إعادة ضبط مسار التفكير الفقهي، والحد من الإفراط في القياس من جهة، ومن الجمود النصي من جهة أخرى، مما أوجد توازناً معرفياً أثّر لاحقاً في تطور علم أصول الفقه (حيدر، ١٤٢٥هـ، ج٤، ص٣٢٨).

---

[٤] محمد بن مسلم بن رباح الثقفي المكنى أبو جعفر، فقيه ومحدث شيعي من أصحاب محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم، وهو من أصحاب الإجماع، ينظر: عبد الحسين الشبستري ، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق (ع) ٣/ ١٩٠

[٥] هشام بن الحكم الكندي من أعلام الشيعة في القرن الثاني الهجري، ومن رواة الحديث ومتكلمي الشيعة، وهو من أصحاب جعفر الصادق وموسى الكاظم وقد روى عنهما أحاديث، وتعلم علم الكيمياء على يد جعفر الصادق ، وكان يعمل بالتجارة. ينظر:ابن النديم،الفهرست،ص٢٥٠

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ثالثاً: بناء الوعي العقدي ومواجهة الانحرافات الفكرية

شهد العصر الذي عاش فيه الإمام الصادق (عليه السلام) (٨٠-١٤٨هـ/٦٩٩-٧٦٥م) تصاعداً ملحوظاً في التحديات العقدية، تمثلت في انتشار النزعات الإلحادية (الزندقة)[٦] وظهور الغلو في بعض الشخصيات الدينية، إضافة إلى محاولات لتشويه المفاهيم الإسلامية عبر التأويلات المنحرفة (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٤٧، ص٢٢٥).

وقد واجه الإمام هذه الظواهر عبر منهج مزدوج يقوم على:

الحوار العقلي البرهاني مع التيارات المشككة، من خلال تفكيك شبهاتهم باستخدام الدليل العقلي والنقلي.

كما أكد الإمام على ضرورة الربط بين الإيمان والعمل، محذراً من تحويل الانتماء العقائدي إلى حالة شكلية منفصلة عن السلوك، لأن ذلك يؤدي إلى تفكك البنية الإيمانية داخل المجتمع.

وقد أكّد الإمام الصادق (عليه السلام) هذا المعنى في أكثر من موضع حين حذّر من التقليد الأعمى، وعدّه عائقًا أمام إدراك الحق، ودعا إلى عرض الأقوال على ميزان العقل والنص كما في جوابه (إلى كَم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والحجر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نَفَر، إنَّ مَن فكَّر في هذا وقدّر، عَلِمَ أنَّ هذا فعلٌ أسّسه غيرُ حكيم ولا ذي نظر، فَقُل فإنَّكَ رأسُ هذا الأمرِ وسنامُه، وأبوك أُسُسَهُ ونظامُه، فقال (عليه السلام): (إنَّ مَن أضلَّه اللهُ وأعمى قلبه، استوخم الحقَّ ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليَّه، يورده مناهلَ الهلكة، ثمّ لا يصدره، وهذا بيتٌ استعبد اللهُ عبادَه ليختبر طاعتَهم في إتيانه، فحثَّهُم على تعظيمه وزيارته، وجعلَه محلَّ أنبيائه، وقبلةً للمصلين له، فهو شعبةٌ من رضوانه، وطريقٌ يؤدي إلى غفرانه، منصوبٌ على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ مَن أُطيع فيما أمر، وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، اللهُ المنشىء للأرواح والصور) (الطبرسي، ١٣٨٠هـ، ٢ / ٦٦ – ٦٧).

[٦] الزندقة مصطلح استخدم في الثقافة الإسلامية، أُطلق على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر. برز مصطلح الزندقة بقوة في العصر العباسي، لا سيما في عهد المهدي والرشيد، كان أبرز من وُصموا بالزندقة، عبد الله بن المقفع وابن الراوندي وأبو عيسى الوراق. محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد. مصطلحات في كتب العقائد (ط. الطبعة الأولى). دار بن خزيمة. ص. (٩٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وقد شكّل هذا المنهج نوعاً من "الحصانة الفكرية" التي ساعدت على حماية الهوية العقدية للمجتمع الإسلامي في مرحلة شديدة الحساسية من الصراع الأموي العباسي والاختلافات في قضية الخلافة (التسخيري، ١٤٢٦هـ، ص٤٨).

المطلب الثاني: المرتكزات التربوية والاجتماعية في مشروع الإمام الصادق (عليه السلام)

مثّل البناء التربوي الديني في فكر الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الإمام جعفر الصادق امتداداً طبيعياً لمشروعه الإصلاحي العام، الذي سعى إلى إعادة تشكيل المجتمع الإسلامي على أسس أخلاقية ومعرفية رصينة، في ظل واقع اتسم بتعدد الاتجاهات الفكرية، وتراجع الضبط القيمي، واتساع دائرة الانحراف الاجتماعي والفكري (الشاكري، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٩٧).

وانطلاقاً من هذا السياق، يمكن تحديد المرتكزات التربوية والاجتماعية في مشروعه ضمن ثلاثة محاور رئيسة مترابطة:

أولاً: تهذيب السلوك وبناء الأخلاق الاجتماعية

اعتمد الإمام الصادق (عليه السلام) في بناء الفرد والمجتمع على منهج تربوي عملي يقوم على تحويل القيم الأخلاقية إلى سلوك يومي ملموس، بعيداً عن التنظير المجرد. ومن أبرز ملامح هذا المنهج اعتماد الإحسان في التعامل حتى مع من يسيء، باعتباره وسيلة لإعادة ضبط السلوك الاجتماعي وتهذيب النفس.

وفي هذا السياق، روي عنه قوله: "إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم، فإن كنت كما يقول كانت عقوبة قد عُجِّلت، وإن كنت على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها" (الشاكري، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٩٧).

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

كما أكد الإمام على أهمية الذكاء الاجتماعي بوصفه جزءاً من البناء العقلي للفرد، مشيراً إلى أن التفاعل الإيجابي مع الناس يمثل عنصراً أساسياً في ترسيخ المودة والاستقرار الاجتماعي، إذ ورد عنه: "مجاملة الناس ثلث العقل" (الكليني، ١٣٨٨ش، ج٢، ص٦٤٣).

وبذلك يتضح أن المشروع التربوي عند الإمام لم يكن منفصلاً عن الواقع الاجتماعي، بل موجهاً نحو إنتاج فرد قادر على التعايش الإيجابي وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية على أسس الرحمة والتوازن.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ثانياً: ترسيخ فقه المداراة ومنهجية التعايش الاجتماعي

شكّلت المداراة[٧] في فكر الإمام الصادق (عليه السلام) مبدأً تربوياً واجتماعياً أساسياً، يهدف إلى إدارة الاختلاف داخل المجتمع الإسلامي دون صدام، والحفاظ على وحدة الجماعة في ظل التعدد الفكري والسياسي.

وقد استند الإمام في ذلك إلى الأصل النبوي في التعامل مع الناس، حيث ورد: "أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض" (الكليني، ١٣٨٨ش، ج٢، ص١١٧).

كما دعا إلى مراعاة مستويات الإدراك عند المخاطَبين، بحيث لا يُطرح الفكر الديني بطريقة تؤدي إلى الفتنة أو سوء الفهم، فقال: "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون" (الصدوق، ١٤١٧هـ، ص١٥٩).

ومن هذا المنطلق، ارتبط مفهوم المداراة عند الإمام بمفهوم التقوى الاجتماعية، التي تهدف إلى حفظ وحدة المجتمع وتجنب الصدامات الفكرية غير المنتجة، مع التأكيد على أن هذا السلوك ليس تنازلاً عن المبدأ، بل أسلوباً في إدارة الاختلاف وحماية البنية الاجتماعية.

كما أشار عدد من الباحثين إلى أن هذا التوجه أسهم في تعزيز وحدة الجماعة المؤمنة، وحمايتها من التفكك في ظل الظروف السياسية الحساسة التي كانت تمر بها الأمة (الروحاني، ١٩٩١م، ج١١، ص٣٩٢).

ثالثاً: ضبط العلاقات الاجتماعية وتحصين البنية الجماعية

عاش الإمام الصادق (عليه السلام) في مرحلة سياسية مضطربة (٨٠-١٤٨هـ/٦٩٩-٧٦٥م) اتسمت بصراع بين السلطة الأموية والعباسية، الأمر الذي فرض تحديات كبيرة على بناء المجتمع المؤمن، خصوصاً في ما يتعلق بالعلاقة مع السلطة ومؤسساتها.

وفي هذا السياق، قدّم الإمام رؤية واقعية تقوم على تحصين الأتباع فكرياً واجتماعياً، من خلال ترسيخ مفهوم التقية بوصفها آلية لحماية الوجود الديني والفكري من الاستئصال، لا مجرد ممارسة فردية.

[٧] المداراة فن التعامل بحكمة مع المخالف واقناعه بدون التنازل عن القيم والمبادئ. ينظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهب، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، د.ت، ص ١٣٠.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

كما عمل على بناء مجتمع متماسك داخلياً، يقوم على تعزيز روابط الأخوة الإيمانية، وتفقد أحوال المؤمنين، وإشاعة ثقافة التعاون الاجتماعي، بما يضمن تحويل الجماعة إلى كيان متماسك قادر على الاستمرار في ظل الضغوط السياسية.

وفي المقابل، حذّر الإمام من الانخراط غير الواعي في دوائر السلطة الظالمة، لما لذلك من أثر في تذويب الهوية الدينية وإضعاف البنية الأخلاقية للفرد والمجتمع، وهو ما يعكس مستوى عالياً من الوعي السياسي الأخلاقي في فكره التربوي (الكليني، ١٣٨٨ش، ج٥، ص١٠٦).

المطلب الثالث: أساليب بناء الوعي العام

لم يكن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يكتفي بالتنظير الأخلاقي، بل ابتكر أسالباً منهجية لتحصين العقل الجمعي للأمة ضد التضليل والتحريف، مستغلاً لحظات "الانفراج السياسي" بين الدولتين الأموية والعباسية لنشر هذه الأساليب التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: التعليم والتوجيه (منهجية الميزان القرآني)

واجه الإمام الصادق (عليه السلام) أخطر تحدٍ معرفي في عصره، وهو "ظاهرة الوضاعين" الذين اختلقوا الأحاديث لخدمة السلطات أو الأهواء. ولعلاج ذلك، وضع أسلوباً تعليمياً صارماً يقوم على:

العرض على الكتاب والسنة: أسس الإمام قاعدة "المقايسة" لحماية الأتباع من الأكاذيب، وصيته لهشام بن الحكم: "لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة"، معتبراً القرآن هو القاعدة الأصيلة والمعصومة التي يُرد إليها كل فكر (الطوسي، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص ٤٨٩).

تفكيك "الزخرف" المعرفي: أصلَّ الإمام قاعدة نقدية تنص على أن "كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف" وبذلك نقل الوعي العام من حالة التلقي السلبي إلى النقد المنهجي وفق القرآن والسنة النبوية الشريفة (الحر العاملي، ١٩٦٩م، ج٢٧، ص ١١١).

التوجيه حسب الطاقات: اتسم أسلوبه بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، فكان يوجه تلامذته لاجتذاب مودة الناس عبر الحديث بما يعرفون وتجنب ما تنكره عقولهم، حفاظاً على تماسك النسيج الاجتماعي (الصدوق، ١٤١٧هـ، ص ١٥٩).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ثانياً: القدوة العملية (منهج الدعاة الصامتين)

آمن الإمام الصادق (عليه السلام) أن الوعي العام لا يُبنى بالخطب والمواعظ فحسب، بل بالنموذج السلوكي أي سلوك الإنسان في المجتمع في التعامل الحسن والخلوق بين أفراد المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي بشكل عام، الذي يراه الناس رأي العين:

الدعوة بغير لسان: طرح الإمام أسلوب "الواقعية التطبيقية"، داعياً أصحابه ليكونوا " دعاة لنا بغير ألسنتكم" (حيدر، ١٤٢٥هـ، ج٤، ص ٣٢٢). فكان الالتزام بالصدق، والعدل، وأداء الأمانة هو الأسلوب الأنجع لإثبات فضل المنهج وجذب الجماهير إليه.

تحمل الأذى والصبر: رسم الإمام منهجية للصمود أمام ولاة الجور، محذراً من المخاصمة العقيمة التي تؤدي إلى التنكيل بالكوادر المؤمنة، ومقدماً نفسه قدوة في الصبر والمطاولة مع السلطتين الأموية والعباسية (الكليني، ١٣٨٨ش، ج٨، ص ٢).

ثالثاً: معالجة الانحرافات (تطهير التراث والتحصين السياسي)

اتخذ الإمام أساليب هجومية ودفاعية لتطهير الوعي العام من الشوائب:

كشف الكذابين: لم يتردد الإمام في تسمية المنحرفين، كالمغيرة بن سعيد الذي "دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي"، وذلك لتحذير المخلصين من خطر الأكاذيب المنسوبة لأهل البيت (المجلسي، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٥٠).

التحصين ضد الانتهازيين: عالج الإمام ظاهرة "المفلسين إيمانياً" والوصوليين الذين عملوا على تشويه نصاعة الإسلام، عبر وضع معايير دقيقة لمن يؤخذ عنه العلم، مؤكداً على ضرورة الرجوع إلى الموثقين أو اتباع سلسلة اسناد الحديث بشكل موثوق للرواة من الرواة الذين بلغت عددهم في مسجده وحده تسعمائة شيخ (المفيد، ص ١٧٩).

ترسيخ التقية الاجتماعية: استخدم التقية كأداة "وعي سياسي" للحفاظ على وحدة الإسلام في وجه الكفار والمنافقين، موجهاً أصحابه بمخالطة الناس بالحسنى وحضور جنائزهم لضمان بقاء صوت الحق داخل جسد الدولة الإسلامية (الروحاني، ١٩٩١م، ج١١، ص ٣٩٢).

أهل البيت يأمرون شيعتهم بالتقية فيقول الإمام الصادق (عليه السلام): " التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له وإنّ المذيع لأمرنا كالجاحد به"، وقال (عليه السلام) لجماعة من أصحابه كانوا عنده يحدّثهم: "لا تذيعوا أمرنا ولا تحدّثوا به فإنّ المذيع علينا سرّنا أشد مؤنة من عدونا انصرفوا رحمكم الله ولا تذيعوا سرّنا" وقال (عليه السلام): "اتقوا على دينكم واحجبوه بالتقية فإنّه لا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

إيمان لمن لا تقية له ولو عَلم الناس أنكم تحبوننا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ونحلوكم في السر والعلانية رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا" (البحار، ج١ ص٨٨)

المبحث الرابع:

أثر المشروع الإصلاحي في تشكيل الوعي الاجتماعي

المطلب الأول: أثره في المجتمع المعاصر له

لقد مثّل المشروع الإصلاحي للإمام الصادق (عليه السلام) نقطة تحول جوهرية في بنية المجتمع المعاصر له، حيث انتقل بالأمة من حالة التلقي السلبي إلى فضاء الفاعلية المعرفية والسلوكية. ويتجلى هذا الأثر بوضوح في قدرة الإمام على صياغة نموذج "القدوة العملية" التي لم تكتفِ بطرح الشعارات الأخلاقية، بل حولتها إلى سلوكيات يومية مرئية أربكت حسابات السلطات الأموية والعباسية على حد سواء؛ فقد استطاع الإمام بناء وعي اجتماعي جديد يقوم على "التحرير بالمعرفة"، إذ لم يكن فعل عتق العبيد في مدرسته مجرد إجراء قانوني لتغيير الحالة الطبقية، بل كان مشروعاً تربوياً متكاملاً يهدف إلى بناء المنظومة العقدية والفكرية للفرد قبل إطلاقه في المجتمع، ليكون حراً بوعيه ومنهجه قبل أن يكون حراً بجسده (الصافي، ٢٠٢٦، مقال).

وعلاوة على ذلك، نجح الإمام في كسر الحواجز النفسية والطبقية التي كانت سائدة، من خلال إرساء قواعد التواضع العملي، وفقه المعاشرة، حيث نجد في نصوصه التأكيد على إزالة التكلف في الضيافة، كما في قوله: " أن أشدكم حباً لنا أحسنكم أكلاً عندنا" (الكليني، ج٦، ص٢٧٨). إن هذا التوجيه لم يكن مجرد أدب مائدة، بل كان استراتيجية لتقليص المسافات النفسية بين المربي والمتربي، وتأسيس بيئة اجتماعية يسودها الأمان النفسي والانفتاح المعرفي. ومن خلال هذا الانفتاح، استطاع الإمام تحويل لغة الحوار مع الخصوم والمنحرفين فكرياً من الصدام والتشنج إلى البرهان العقلي الهادئ، مما أدى إلى انحسار تأثير الوضاعين والانتهازيين أمام قوة المنطق الصادقي الذي جعل الحقيقة هي الغاية الأسمى للوعي الاجتماعي (الصافي، ٢٠٢٦).

المطلب الثاني: امتداد أثره في الفكر الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة

لم يقف أثر المنهج الصادقي عند حدود عصره الزمني، بل امتد ليمثل الركيزة الأساسية للخطاب الإسلامي المعاصر في مواجهة تحديات العصر. وتتجلى أولى هذه الملامح في "فقه التعايش وإدارة الاختلاف"؛ حيث أصبحت القوة الأخلاقية التي جسدها الإمام في مواجهة الإساءة بالإحسان مرجعاً فكرياً صلباً في المنظومة الشيعية المعاصرة لفض النزاعات المذهبية والفكرية. إن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

منهج "كسر سلسلة الانتقام" الذي أسسه الإمام، والذي يرتكز على تحويل الإساءة الشخصية إلى أفق الرعاية الإلهية، يتبناه اليوم كبار المفكرين كأداة لتحقيق السلم الأهلي والاجتماعي (المجلسي، ج٨٨، ص٣٨٥). كما نجد امتداداً حياً لهذا الأثر في "الحوار بين الأديان والثقافات"، حيث يستلهم العلماء المعاصرون في محافلهم الدولية قواعد الصدق والموضوعية والإيجاز التي ميزت مناظرات الإمام، مما جعل الخطاب الإسلامي المرتكز على هذه الأسس أكثر قدرة على تقديم الإسلام بصورة حضارية ومنفتحة، وفي سياق التكافل الاجتماعي، لا تزال فلسفة الإمام في "المعروف ابتداءً" وصون كرامة المحتاج هي المحرك للعمل الإغاثي والاجتماعي المعاصر. إن هذا المنهج يقوم على حماية الفقير من شعور الانكسار عبر "الستر في العطاء" وتوجيه العون ليكون وسيلة للاستقلال الاقتصادي لا أداة لتكريس التبعية (الصافي، ٢٠٢٦). ويظهر هذا الوعي بوضوح في استخدام الوسائل الحديثة من منصات رقمية وبحوث اجتماعية لتقديم نموذج إنساني يراعي كرامة المتلقي ويخاطب الناس على قدر عقولهم، وهو ما يثبت أن الرؤية الصادقية قد قدمت نظاماً أخلاقياً ومعرفياً عابراً للأجيال، يجمع بين ثبات الهوية العقدية ورحابة الفكر الإنساني، مما يجعله قادراً على توجيه الإنسان المعاصر نحو بناء مجتمع متوازن ومتماسك (الصدر، د.ت، ص١٥).

نتائج البحث

توصل البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

١. شمولية المشروع الإصلاحي: أثبت البحث أن إصلاح الإمام الصادق (عليه السلام) كان مشروعاً "موسوعياً" لم يقتصر على الجانب الفقهي، بل شمل العلوم الطبيعية، والمنطق، والأخلاق، والاجتماع، مما جعله مرجعية شاملة لكل التيارات الفكرية.
٢. القرآن كمركز للوعي: خلصت الدراسة إلى أن الإمام رسخ قاعدة "المقايسة القرآنية" كأداة نقدية عليا؛ فكان القرآن الكريم هو الميزان الذي تُعرض عليه الأفكار والأحاديث، مما شكل صمام أمان للأمة ضد ظاهرة "الوضاعين" والتحريف الفكري.
٣. تأسيس فقه التعايش: أظهرت النتائج أن الإمام (عليه السلام) وضع اللبنات الأولى لمفهوم "المواطنة الإنسانية" والتعايش السلمي، من خلال إدارته الحكيمة للاختلاف مع الخصوم والمنحرفين، مقدماً البرهان العقلي على الصدام الانفعالي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٤. التربية بالوعي لا بالقمع: تبين أن منهج الإمام في تحرير العبيد والتعامل مع الطبقات المسحوقة كان يهدف إلى "التحرير الباطني" عبر بناء المنظومة العقدية للفرد، ليكون التغيير الاجتماعي نابعاً من قناعة داخلية راسخة.

٥. العلاقة بين العلم والسلوك: أكد البحث أن المدرسة الصادقية ألغت الفجوة بين "النظرية والتطبيق"؛ فكانت الأخلاق (مثل الصدق، أداء الأمانة، التواضع) هي الأدوات العملية لنشر الوعي، وهو ما عُرف بمنهج "الدعاة الصامتين".

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

فهرس المصادر والمراجع

اولاً: القران الكريم.

١. ابن حجر الهيثمي، أحمد. (١٤١٤هـ). الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠٠٠). لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. القاهرة: دار العرب.

٣. أحمد، سمير نعيم. (٢٠٠٦). النظرية في علم الاجتماع. ط١٠. القاهرة.

٤. آقا بزرك الطهراني، محمد محسن. (١٤٠٣هـ). الذريعة إلى تصانيف الشيعة. بيروت: دار الأضواء.

٥. الأمين، السيد علي. (٢٠١٣). نص كلمة حوار الأديان والثقافات في فيينا. موقع العلامة الأمين.

٦. التسخيري، محمد علي. (١٤٢٦هـ). حول الشيعة والمرجعية في الوقت الحاضر. طهران: المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن. (١٩٦٩م). وسائل الشيعة. تحقيق: محمد الرازي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٨. الحكيم، محمد تقي. (١٩٧٩م). الأصول العامة للفقه المقارن. بيروت: مؤسسة آل البيت (عليه السلام).

٩. الحنفي، عبد المنعم. (٢٠٠٠). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

١٠. الروحاني، محمد صادق. (١٩٩١م). فقه الصادق. قم: المطبعة العلمية.

١١. الزبيدي، باسم. (٢٠٠٥). الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه. مؤسسة الناشر للدعاية والإعلام.

١٢. الشاكري، حسين. (١٤١٧هـ). موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام). قم: مطبعة سارة.

١٣. الصافي، صباح. (٢٠٢٦). ماذا لو طبقنا أخلاق الإمام الصادق في حياتنا؟. مقال منشور.

١٤. الصدر، محمد باقر. (د.ت). فلسفتنا. بيروت: دار التعارف.

١٥. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. (١٤١٧هـ). الأمالي. تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية. قم: مؤسسة بعثة.

١٦. الطبرسي، أحمد بن علي. (١٣٨٠هـ). الاحتجاج. تحقيق: محمد باقر الخرسان. النجف الأشرف: دار النعمان.

١٧. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤٠٤هـ). اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي). تحقيق: مهدي الرجائي. قم: مؤسسة آل البيت (عليه السلام).

١٨. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٨٨ش/١٤٠٧هـ). الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. طهران: دار الكتب العلمية.

١٩. المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). بحار الأنوار. بيروت: مؤسسة الوفاء.

٢٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان. (١٤١٣هـ). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. بيروت: دار المفيد.

٢١. المقري، أحمد بن محمد. (١٩٣٩م). أزهار الرياض في أخبار عياض. القاهرة.

٢٢. بلقزيز، عبد الله. (١٩٩٧). الخطاب الإصلاحي في المغرب. بيروت: دار المنتخب.

٢٣. حيدر، أسد. (١٤٢٥هـ). الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٢٤. مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط. ط٤. القاهرة.
٢٥. محمد، محمد علي وآخرون. (١٩٨٨). قاموس علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
٢٦. محمود، علي عبد الحليم. (١٩٩٤). فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٢٧. هوسرل، إدموند. (٢٠٠٥). أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية. ترجمة: إسماعيل المصدق. بيروت.
٢٨. ابن الفراء، محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨هـ). (١٩٩٠م). العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي، د.ن.
٢٩. البدري، حسين. (٢٠١٨). الامام جعفر الصادق، مركز فجر عاشوراء الثقافي، بغداد.
٣٠. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣٣٠هـ). (١٤١٣هـ). دلائل الامامة، مؤسسة الإسلامية، قم.
٣١. عطوان، حسين. (٤١٥هـ). الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت.
٣٢. العنزي، عزيز بن فرحان. (٢٠٠٥م). البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١.
٣٣. القحطاني، سعيد بن علي بن وهب. (د.ت). الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض.
٣٤. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، (١٤١٦هـ). ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: علي جمال اشرف، دار الاسرة، قم.
٣٥. كاظم، نهرين كريم. (٢٠٢٢م). الاصلاح والتجديد في فكر مدرسة آل البيت الامام الصادق انموذجا دراسة تحليلية مقارنة، مجلة آداب الكوفة، العدد ٥٢، ج١.
٣٦. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ). (٢٠٠٧)، أصول الكافي، منشورات الفجر، بيروت.
٣٧. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ). (١٤٢٥هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٨. ناجي، حسن. (١٣٨٦هـ). ثورة زيد بن علي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف.

مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ